مقدّمة

لكل دين من أديان التوحيد الثلاثة كتابه الذى يختص به . وتشكّل هذه الوثائق أساس الإيمان لدى كل مؤمن يهوديًّا كان أو مسيحيًّا أو مسلماً . وكل مؤمن يعد كتابه تسجيلاً ماديًّا لوحى إلهى . وقد يكون هذا الكتاب منزلاً بشكل مباشر ، كما هو الأمر فيما يتعلق بإبراهيم أو بموسى فقد تلقيا الوصايا من الله نفسه . وقد يكون منزلاً بشكل غير مباشر كما هو الحال فيما يختص بالمسيح أو محمد ﷺ ، فقد أعلن المسيح أنه يتحدث باسم الأب ، وأما محمد ﷺ فقد بلغ الرسالة التى نقلها إليه جبريل .

وإن اعتبارات على المعطيات الموضوعية لتاريخ الأديان يوجب وضع العهد القديم والأناجيل والقرآن على مستوى واحد من حيث إنها مجموعات للوحى المكتوب . غير أن هذا الموقف الذى يقول به المسلمون مبدئيًّا ليس هو نفس الموقف الذى يقبله مؤمنو بلادنا الغربية التى تنتشر بها المؤثرات اليهودية المسيحية : والتى ترفض إعطاء القرآن صفة الكتاب المنزل .

وتعرف هذه الأوضاع من الرجوع إلى المواقف التى تتخذها كل جماعة دينية إزاء الجماعتين الأخريين فيما يتعلق بالكتب المقدسة .

فكتاب اليهودية المقدس هو التوراة . وتختلف التوراة عن « العهد القديم المسيحى » لأن هذا الأخير قد أضاف عدة أسفار لم تكن موجودة بالعبرية . غير أن هذا الاختلاف لا يمس شيئاً من العقيدة . لكن اليهودية لا تعترف بأى وحى جاء بعدها .

وهكذا فإن المسيحية قد اعتمدت التوراة العبرية ، ولكنها زادت عليها بعض الإضافات.غير أن المسيحية لم تقبل كل ما انتشر من كتابات تستهدف تعريف الناس برسالة عيسى . ولذلك قامت الكنيسة بإجراءات حذف هامة جدًّا لعدد كبير من الأسفار التى كتبت لتعريف الناس بحياة المسيح وبتعاليمه . وهكذا فإن الكنيسة لم تحتفظ من العهد الجديد

إلا بعدد محدود من الكتابات ، وكان من أهمها الأناجيل الأربعة المعترف بها كنسيًا . غير أن المسيحية (بدورها) لا تعترف بأى وحى جاء بعد المسيح وحوارييه ، ولذلك فهى تستبعد القرآن .

أما القرآن ، وقد أتى بعد المسيح بقرون ستة ، فإنه يتناول معطيات عديدة جاءت فى التوراة العبرية والأناجيل ، ولذلك فهو يذكر التوراة والإنجيل كثيراً . والقرآن يوصى كل مسلم بالإيمان بالكتب السابقة عليه (سورة النساء) (٤) . الآية ١٣٦ : « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِى نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِى أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً . . » وهكذا فإن القرآن يؤكد المكانة البارزة التى يحتلها رسل الله فى تاريخ التنزيل مثل نوح وإبراهيم وموسى والأنبياء خاصة المسيح الذى يحتل مكانة بارزة بينهم . والقرآن مثل الأناجيل ، يقدم ميلاد المسيح كفعل خارق (يفوق الطبيعة) ، ويخص بالذكر أيضاً مريم ، ويطلق على السورة ١٩ اسمها (سورة مريم) .

والواقع أننا ملزمون بملاحظة أن المعطيات الخاصة بالإسلام التى ذكرناها مجهولة عموماً فى بلادنا الغربية ، ولا يدهشنا ذلك إذا تذكرنا الطريقة التى اتبعت فى تثقيف الأجيال الكثيرة فيما يتعلق بالقضايا الدينية لدى الإنسان ، وكيف فرض عليهم الجهل فى كل ما يمس الإسلام ، وهكذا فإن الاستعمال السائد حتى اليوم فى التسميات مثل : « الدين المحمدى » و « المحمديون » ليدل على الرغبة فى أن تظل النفوس مقتنعة بذلك الرأى الخاطئ القائل بأن تلك معتقدات انتشرت بفضل جهاد رجل ، وأنه ليس لله (بالمعنى الذى يدركه المسيحيون) مكان فى تلك المعتقدات ..؟ ولنضف أن كثيراً من معاصرينا المثقفين يهتمون بالجوانب الفلسفية والاجتماعية والسياسية فى الإسلام دون أن يتساءلوا عن التنزيل الإسلامى بصورة خاصة كما كان يجب عليهم أن يفعلوه . ويرون من البديهيات أن محمداً ﷺ قد اعتمد على ما سبقه وذلك بقصد استبعاد قضية الوحى منذ البدء .

وزيادة على ذلك فهناك بعض أوساط مسيحية تحتقر المسلمين . ولقد خبرت هذا حين

حاولت إقامة حوار من أجل دراسة مقارنة حول عدد من الأخبار المذكورة فى القرآن والتوراة معاً فى موضوع واحد . ولاحظت أن هناك رفضاً باتًّا للنظر بعين الاعتبار ، ولو لمجرد التأمل ، فيما يحتويه القرآن مما يتعلق بموضوع الدراسة المزمعة ، كأن الرجوع فى ذلك إلى القرآن يعنى الاعتماد على الشيطان ...

ومع ذلك يبدو لنا أن هناك تغيراً جذريًّا يتحقق اليوم على أعلى مستوى فى العالم المسيحى . فالوثيقة التى طبعتها سكرتارية الفاتيكان لشئون غير المسيحيين إثر مجمع الفاتيكان الثانى ، بعنوان « توجيهات لإقامة حوار بين المسيحيين والمسلمين Orientations pour un dialogue entre Chrétiens et Musulmans » والتى طبعت للمرة الثالثة فى عام ١٩٧٠ م ، تشهد بعمق التحول فى المواقف الرسمية . فقد دعت وثيقة الفاتيكان إلى استبعاد الصورة التى يصور المسيحيون المسلمين عليها ، « تلك الصورة البالية التى ورثنا الماضى إياها أو شوهتها الافتراءات والأحكام المسبقة » . ثم اهتمت الوثيقة « بالاعتراف بمظالم الماضى التى ارتكبها الغرب ذو التربية المسيحية فى حق المسلمين » . والوثيقة تنتقد أيضاً مفاهيم المسيحيين الخاطئة عن الحتمية الإسلامية وحرفية الإسلام وتعصبه ، وغير ذلك . إن الوثيقة تؤكد على وحدة الإيمان بالله عند الجماعتين وتذكر كيف أثار الكاردينال كونيج Koenig إعجاب مستمعيه بالجامع الأكبر حين أعلن ذلك فى محاضرته الرسمية التى ألقاها بجامعة الأزهر الإسلامية فى القاهرة عام ١٩٦٩ . والوثيقة تذكر أيضاً بأن سكرتارية الفاتيكان قد دعت المسيحيين منذ عام ١٩٦٧ إلى تقديم تهانيهم إلى المسلمين بمناسبة عيد الفطر (انتهاء شهر الصوم) فهو يمثل « قيمة دينية أصيلة » .

وقد لحقت تلك البوادر المواتية للتقارب بين الهيئة البابوية والإسلام لقاءات واجتماعات جعلت تلك البوادر للتقارب أمراً واقعاً . ومع ذلك فقلة قليلة هى التى عرفت هذه الأحداث الهامة التى حدثت بالعالم الغربى على الرغم من كثرة وسائل النشر والإعلام من صحافة وإذاعة وتلفزيون .

وكذلك فإن الصحف لم تكرس مكانة كبيرة للزيارة الرسمية التى قام بها الكردينال بنيودولى Pignedoli رئيس سكرتارية الفاتيكان لشئون غير المسيحيين إلى **جلالة الملك**

فيصل عاهل العربية السعودية فى الرابع والعشرين من أبريل عام ١٩٧٤ . ولم تعلق جريدة الموند Le Monde على تلك الزيارة إلا فى سطور قلائل فى عددها الصادر فى ٢٥ أبريل عام ١٩٧٤ برغم أهمية الخبر ، وخاصة عندما نعلم أن الكاردينال قد سلم للعاهل السعودى رسالة من البابا بولس السادس مدفوعاً إلى ذلك بإيمانه العميق بوحدة العالمين الإسلامى والمسيحى اللذين يعبدان إلهاً واحداً ، ومعبراً فيها قداسته عن تقديره لجلالة الملك فيصل باعتباره الشخصية العليا فى العالم الإسلامى » .

وبعد ذلك بستة أشهر ، أى فى أكتوبر ١٩٧٤ ، استقبل البابا رسمياً بالفاتيكان كبار علماء المملكة العربية السعودية ، وكانت مناسبة لندوة بين مسيحيين ومسلمين حول حقوق الإنسان الثقافية فى الإسلام ، وذكرت « أوسرفاتورى رومانو Osservatore Romano » ، جريدة الفاتيكان ، فى عددها الصادر فى ٢٦ من أكتوبر سنة ١٩٧٤ هذا الحدث التاريخى ، وكرست له فى صحيفتها الأولى مكاناً أكبر من ذلك الذى أعطته التعليق على اليوم الختامى لمجمع الأساقفة المنعقد بروما .

ثم استقبل المجلس المسكونى الأعلى للكنائس بجنيف وغبطة الأسقف إلشنجر Elchinger. أسقف ستراسبورج كبار علماء المملكة العربية السعودية . ودعا الأسقف العلماء لأداء فريضة الظهر أمامه بكاتدرائيته . وإذا كانت الصحف قد ذكرت الخبر ، فذلك يرجع على ما يبدو ، للجانب الاستعراضى أكثر منه للدلالة الدينية الهامة التى مثلها . واتضح لى ممن سألتهم عن أخبار هذه المحافل أن الذين علموا بها هم قلة قليلة جداً .

ولا شك أن تاريخ العلاقات بين الدينين سيسجل روح الانفتاح نحو الإسلام التى عبر عنها البابا بولس السادس فى تصريحه «بإيمانه العميق بوحدة العالمين الإسلامى والمسيحى اللذين يعبدان إلهاً واحداً» . ولقد رأيت أنه من الأهمية أن أذكّر بمشاعر رئيس الكنيسة الكاثولوكية إزاء المسلمين . فكثير من المسيحيين الذين تربوا فى ظل روح عدائية صريحة — الأمر الذى رثت له الوثيقة المذكورة أعلاه — هم مبدئياً أعداء لكل تأمل فى الإسلام ، ولذلك فإنهم يظلون فى جهالة لحقيقة الإسلام ، وبالتالى فإن مفاهيمهم عن الإسلام هى مفاهيم مغلوطة لا شك فيها .

وأيًّا كان الأمر يبدو لنا أنه من الحق علينا ، عند دراسة جانب من جوانب التنزيل فى دين توحيدى ، أن نعالجه بالمقارنة مع ما يقدمه الدينان الآخران من وجهة النظر فى الموضوع نفسه . وإن دراسة شاملة لمشكلة ما هى بالتأكيد أكثر أهمية من دراسة جانب واحد منفصل . إن المواجهة بين حقائق العلم فى القرن العشرين وبين بعض الموضوعات التى تعالجها الكتب المقدسة تهم بالتالى الأديان الثلاثة معاً وليس ديناً واحداً على حدة . هذا ، ونظراً لما يتهدد الأديان الثلاثة من طغيان المَادِّيَّة فى هذه الأيام ، أفلا تكون هذه الأديان بحكم ذلك جبهة واحدة ؟ بل أليس من الواجب أن تتقارب تجاه هذا الطغيان وأن تؤلف كتلة واحدة متماسكة ؟ ففى البلاد الإسلامية كما فى البلاد ذات المؤثرات اليهودية المسيحية يقال – وخاصة فى الأوساط العلمية – إن الدين والعلم لا يتفقان . والواقع أن المشكلة ، لكى تعالج فى شمولها ، تتطلب تطويرات هامة . ولكنى لن أعالج هنا إلا جانباً واحداً من الموضوع وهو دراسة الكتب المقدسة نفسها فى ضوء المعارف العلمية الحديثة .

غير أن قصد هذه الدراسة يفرض سؤالاً أوَّلِيًّا لكنه أساسى : ما القيمة الصحية لهذه النصوص التى فى حوزتنا اليوم ...؟ وذلك يعنى بالضرورة أن ندرس الظروف التى سادت تحرير تلك النصوص وانتقالها إلينا .

إن معالجة الكتب المقدسة من خلال علم الدراسة النقدية للنصوص شىء قريب العهد فى بلادنا . ففيما يخص العهد القديم والعهد الجديد ، ظل الناس يقبلونهما على ما هما عليه طيلة قرون عديدة . ولم تكن قراءة الكتب المقدسة تؤدى إلا إلى اعتبارات مدحية ، وكان مجرد التعبير عن أى روح نقدية إزاء الكتاب المقدس خطيئة لا تغتفر . وكان القساوسة هم الصفوة التى تستطيع بغير عناء أن تكون لديها معرفة إجمالية عن التوراة والأناجيل أما عامة العلمانيين فلم تكن تتلقى إلا نصوصاً مختارة خلال الطقوس الدينية أو عبر المواعظ .

وبعد أن أصبح نقد النصوص علماً ، فقد كان له الفضل فى أن جعلنا نكتشف مشاكل مطروحة وخطيرة فى أحيان كثيرة. غير أنه لابد من أن نصاب بخيبة الأمل عندما نقرأ كتباً كثيرة تدعى أنها نقدية ولكنها لا تقدم فى مواجهة الكثير من مشكلات التأويل الحقيقية إلا تفسيرات مديحية تهدف إلى سَتْرِ حَرَجِ المؤلف وحيرته . فى ظل تلك الظروف فإن

المتناقضات والأمور البعيدة عن التصديق تظل باقية بلا حل فى نظر كل من يريد أن يحتفظ بسلامة مقدرته على التفكير وحسه الموضوعى . وإننا لنأسف حقا لذلك الموقف الذى يهدف إلى تبرير الاحتفاظ فى نصوص التوراة والإنجيل ببعض المقاطع الباطلة خلافاً لكل منطق . إن ذلك موقف يسىء كثيراً إلى الإيمان بالله لدى بعض العقول المثقفة . ومع ذلك فقد أثبتت التجربة أنه إذا كان بعضهم قادراً على فضح بعض مواطن الضعف من هذا النوع ، فإن الغالبية من المسيحيين لم تدرك حتى الآن وجود هذا الضعف ، وظلت فى جهالة تامة من أمر ذلك التناقض مع المعارف الدنيوية المشهورة التى تُعتبر غالباً من المعارف الأساسية جدًّا .

أما الإسلام فعنده فى الأحاديث النبوية ما يشبه الأناجيل من حيث إنها مجموعة من الأقوال والأخبار لأفعال محمد ﷺ . وليست الأناجيل بأكثر من هذا فيما يتعلق بعيسى . فقد كتبت أولى الأحاديث بعد عشرات من السنوات من موت محمد ﷺ مثلما كتبت الأناجيل بعد عشرات السنوات من انصراف المسيح . إذن فالأحاديث والأناجيل شهادات بأفعال مضت . وسنرى فيما بعد كيف أن مؤلفى الأناجيل الأربعة المعترف بها كنسيًّا لم يشهدوا الوقائع التى أخبروا بها . والأمر نفسه ينطبق على المؤلفات فى الحديث المشهورة بصحتها .

وهنا يجب أن تتوقف المقارنة . وذلك لأن النقاش إذا كان قد دار وما زال يدور حول صحة هذا الحديث أو ذاك فإن الكنيسة قد حسمت منذ قرونها الأولى وبشكل نهائى بين الأناجيل المتعددة وأعلنت رسمية أربعة منها فقط ، برغم التناقضات العديدة فيما بين هذه الأناجيل فى كثير من النقاط ، وأصدرت الأمر بإخفاء الأناجيل الأخرى . ومن هنا جاء اسم « الأناجيل المزورة » .

وهناك فرق آخر جوهرى بين المسيحية والإسلام فيما يتعلق بالكتب المقدسة ، ونعنى بذلك فقدان نصوص الوحى الثابت لدى المسيحية ، فى حين أن الإسلام لديه القرآن الذى هو وحى منزل وَثابت معاً .

فالقرآن هو الوحى الذى أنزل على محمد ﷺ عن طريق جبريل ، وقد كتب فور

نزوله ، ويحفظه ويستظهره المؤمنون عند الصلاة وخاصة فى شهر رمضان . وقد رتب فى سور بأمر من محمد ﷺ نفسه . وجمعت هذه السور فور موت النبى ﷺ وفى خلافة عثمان – (من السنة الثانية عشرة إلى السنة الرابعة والعشرين التالية لوفاة محمد ﷺ) – ذلك لتصبح النص الذى نعرفه اليوم .

أما الكتاب المسيحى المقدس ، فإنه يختلف بشكل بيّن عما حدث بالنسبة للإسلام . فالإنجيل يعتمد على شهادات بشرية متعددة وغير مباشرة ، وإننا لا نملك مثلاً أى شهادة لشاهد عيان لحياة عيسى ، وهذا خلافاً لما يتصوره الكثير من المسيحيين ، وهكذا إذن طرحت مشكلة صحة نصوص الكتب المقدسة المسيحية – ونصوص الوحى الإسلامى .

ولقد كانت مقابلة نصوص الكتب المقدسة بحقائق العلوم موضوع تفكير الإنسان فى كل العصور . ففى البدء قيل إن اتفاق العلم والكتب المقدسة أمر لازم لصحة النص المقدس . وإن القديس أوغسطين ، فى خطابه الثانى والثمانين ، الذى سنذكره فيما بعد قد حدد هذا المبدأ بشكل حاسم . ولكن تطور العلم كشف للمفكرين عن وجود نقاط خلاف بين الاثنين . وبهذه الطريقة خلق ذلك الوضع الخطير الذى جعل اليوم مفسرى التوراة والأناجيل يناصبون العلماء العداء . إذ لا يمكن فى الحقيقة أن نقبل بأن رسالة إلهية منزلة تنص على واقع غير صحيح بالمرة . وبناء على ذلك فليس هناك سوى إمكانية واحدة للتوفيق المعقول بين الأمرين ، وهى عدم قبول صحة المقطع الذى يقول فى التوراة بأمر غير مقبول علمياً . ولم يكن هذا الحل طواعية بل بالعكس فقد تعصب بعضهم بشدة للاحتفاظ بتمام النص ، وقد كان نتيجة هذا أن اضطر المفسرون إزاء صحة الكتب المقدسة إلى اتخاذ مواقف لا يمكن قبولها من قبل رجل العلم .

وإن الإسلام قد اعتبر دائماً ، كما فعل القديس أوغسطين بالنسبة للتوراة ، أن هناك اتفاقاً بين معطيات الكتاب المقدس والواقع العلمى . وأن دراسة نص القرآن فى العصر الحديث لم تكشف عن الحاجة إلى إعادة النظر فى هذا . وسوف نرى فيما بعد أن القرآن يثير وقائع ذات صفة علمية ، وهى وقائع كثيرة جداً ، خلافاً لقلتها فى التوراة ، إذ ليس هناك أى وجه للمقارنة بين القليل جداً لما أثارته التوراة من الأمور ذات الصفة العلمية ، وبين

تعدد وكثرة الموضوعات ذات السمة العلمية فى القرآن ، وأنه لا يتناقض موضوع ما من مواضيع القرآن العلمية مع وجهة النظر العلمية . وتلك هى النتيجة الأساسية التى تخرج بها دراستنا . وسنرى فى نهاية هذا الكتاب كيف أن الأمر يختلف تماماً فيما يتعلق ببعض الأحاديث النبوية غير القطعية والتى تخرج عن نطاق الوحى القرآنى ، إذ أن هناك بعض الأحاديث ظنية الثبوت لا يمكن قبولها علميًّا ، غير أن هذه قد خضعت لدراسات جادة اتباعاً لمبادئ القرآن الصريحة التى تأمر دائماً بالرجوع إلى العلم والعقل اللذين يسمحان للناقد بنفى صحتها على ضوء حقائق القرآن .

هذه التأملات حول الصفة المقبولة أو غير المقبولة علميا لمقولة فى كتاب مقدس تتطلب منَّا إيضاحاً دقيقاً . إذ علينا أن نؤكد أننا عندما نتحدث هنا عن حقائق العلم فإننا نعنى بها كل ما قد ثبت منها بشكل نهائى . وأن هذا الاعتبار يقضى باستبعاد كل نظريات الشرح والتبرير التى قد تفيد فى عصر ما لشرح ظاهرة ، ولكنها قد تلغى بعد ذلك تاركة المكان لنظريات أخرى أكثر ملاءمة للتطور العلمى . وإن ما أعنيه هنا هو تلك الأمور التى لا يمكن الرجوع عنها . والتى ثبتت بشكلٍ كافٍ بحيث يمكن استخدامها دون خوف الوقوع فى مخاطرة الخطأ ، حتى وإن يكن العلم قد أتى فيها بمعطيات غير كاملة تماماً .

وعلى سبيل المثال فإننا نجهل التاريخ التقريبى لظهور الإنسان على الأرض ، غير أنه قد اكتشفت آثاره لأعمال بشرية نستطيع وضع تاريخها فيما قبل الألف العاشرة من التاريخ المسيحى دون أن يكون هناك أى مكان للشك . وعليه فإننا لا نستطيع علميًّا قبول صحة نص سفر التكوين الذى يعطى أنساباً وتواريخ تحدد أصل الإنسان (خلق آدم) بحوالى ٣٧ قرناً قبل المسيح . وربما استطاع العلم فى المستقبل أن يحدد لذلك تواريخ فوق تقديراتنا الحالية . غير أننا نستطيع أن نطمئن إلى أنه لن يمكن أبداً إثبات أن الإنسان قد ظهر على الأرض منذ ٥٧٣٦ سنة كما يقول التاريخ العبرى فى ١٩٧٥ . وبناء على ذلك فإن معطيات التوراة الخاصة بقدم الإنسان غير صحيحة .

هذه المواجهة مع العلم لا تتناول أية قضية دينية بالمعنى الحقيقى للكلمة . فليس للعلم مثلاً أن يقدم أى شرح لكيفية ظهور الله لموسى – أو أن يحل اللغز الذى يحيط بمجيء المسيح

على الأرض دون أن يكون له أب جسدى « بيولوجى » . ولذلك فإن الكتب المقدسة لا تقدم أى تعليل مادى لأمور من هذا النوع . وإن الدراسة التى نقدمها الآن تختص بما تنبئنا به الكتب المقدسة فيما يتعلق بالظاهرات الطبيعية المتنوعة الكثيرة ، والتى تحيطها تلك الكتب بقليل أو بكثير من التعليقات والشروح . ولا بد من الملاحظة أن الوحى القرآنى غنى جدًّا فى تعدد هذه المواضع وذلك على خلاف ندرتها فى العهدين القديم والجديد .

لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم وذلك دون أى فكر مسبق وبموضوعية تامة باحثاً عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث . وكنت أعرف ، قبل هذه الدراسة ، وعن طريق الترجمات ، أن القرآن يذكر أنواعاً كثيرة من الظاهرات الطبيعية ، ولكن معرفتى كانت وجيزة . وبفضل الدراسة الواعية للنص العربى استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوى على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم فى العصر الحديث .

وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأناجيل . أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول ، أى سفر التكوين ، فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخاً فى عصرنا .

وأما بالنسبة للأناجيل فما نكاد نفتح الصفحة الأولى منها حتى نجد أنفسنا دفعة واحدة فى مواجهة مشكلة خطيرة ونعنى بها شجرة أنساب المسيح . وذلك أن نص إنجيل متى يناقض بشكل جلى إنجيل لوقا Luc ، وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمراً لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الأرض .

غير أن وجود هذه الأمور المتناقضة وتلك التى لا يحتملها التصديق ، وتلك الأخرى التى لا تتفق والعلم ، لا يبدو لى أنها تستطيع أن تضعف الإيمان بالله ، ولا تقع المسئولية فيها إلا على البشر ، ولا يستطيع أحد أن يقول كيف كانت النصوص الأصلية ، وما نصيب الخيال والهوى فى عملية تحريرها ، أو ما نصيب التحريف المقصود من قبل كتبة هذه النصوص ، أو ما نصيب التعديلات غير الواعية التى أدخلت على الكتب المقدسة . وأن ما يصدمنا حقًّا فى أيامنا هذه أن نرى المتخصصين فى دراسة النصوص يتجاهلون ذلك

التناقض والتعارض مع الحقائق العلمية الثابتة ، أو يكشفون عن بعض نقاط الضعف ليحاولوا بعد ذلك التستر عليها مستعينين فى ذلك ببهلوانيات جدلية . وسنقدم فى هذا الكتاب أمثلة لاستخدام بعض كبار المفسرين لصيغ براقة دفاعاً عن إنجيلى متى ويوحنا ومدحاً لهما . وإن استخدام هذه الوسائل للتستر على تناقض أو على أمر بعيد التصديق ، مما يسمونه « صعوبة » استحياءً ، قد كان ناجحاً فى كثير من الأحيان ، وهذا ما يفسر لنا كيف أن كثيراً من المسيحيين ظلوا يجهلون نقاط الضعف الخطيرة فى كثير من المقاطع فى العهد القديم وفى الأناجيل ، وسيجد القارئ فى الجزءين الأول والثانى من هذا الكتاب أمثلة صحيحة فى ذلك .

أما الجزء الثالث فسيجد فيه القارئ أمثلة توضيحية لتطبيق العلم على دراسة أحد الكتب المقدسة ، وهو تطبيق لم يكن ليتوقعه الإنسان ، كما سيجد القارئ فى ذلك بياناً لما قد جاء به العلم الحديث الذى هو فى متناول كل يد من أجل فهم أكمل لبعض الآيات القرآنية التى ظلت حتى الآن مستغلقة أوغير مفهومة . ولا عجب فى هذا إذا عرفنا أن الإسلام قد اعتبر دائماً أن الدين والعلم توأمان متلازمان . فمنذ البدء كانت العناية بالعلم جزءاً لا يتجزأ من الواجبات التى أمر بها الإسلام . وأن تطبيق هذا الأمر هو الذى أدى إلى ذلك الازدهار العظيم للعلوم فى عصر الحضارة الإسلامية ، تلك التى اقتات منها الغرب نفسه قبل عصر النهضة فى أوربا . وإن التقدم الذى تم اليوم بفضل المعارف العلمية فى شرح بعض ما لم يكن مفهوماً ، أو فى شرح بعض ما قد أسىء تفسيره حتى الآن من آيات القرآن ، ليشكل قمة المواجهة بين العلم والكتب المقدسة .